من كانت له نصيحة لذي سلطان

موقف المسلم الصحيح

إذا رأى من ولي أمره ما يكره

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٩ المحرم ١٤٣٩ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن ربنا ﷻ خلق الإنسان، لِيَعمُر الأرض بالتوحيد والإيمان، والعدل والإصلاح والإحسان، فخلق آدم عليه السلام من تراب، خلقه في السماء، وخلق منه زوجه حوّاء، وأهبطهما إلى الأرض ليتحقق المقصود من خلقهما، وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساءً.

وكان أبونا آدم عليه السلام نبيًّا، فظلّ الناس عشرة قرون على التوحيد والخير، إلى أن اجتالتهم الشياطين ومكر بهم إبليس، فأوقعهم في الشرك بالله عز وجل، فوقع الشرك في بني آدم، وظهر الفساد في الأرض، وبعث الله الأنبياء والمرسلين، مبشّرين ومنذرين، داعين إلى توحيد رب العالمين، ومحذّرين من الشرك بأنواعه، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]، وختم الله عز وجل الأنبياء والمرسلين بمحمد بن عبد الله ﷺ، فلا نبي بعده، وجعله رحمةً للعالمين، وأكمل له ولأمته الدين، فقال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

ومن كمال ديننا: أنه جاء بالمصالح كلها، وجاء بدرء المفاسد كلها، فما من مصلحة، وما من خير لنا، إلا وهو مركوز في ديننا، وما من مفسدة إلا وقد جاء ديننا بمنعها، ودفعها قبل وقوعها.

وإن من كمال ديننا يا عباد الله: أنه أوجب علينا الاجتماع، وألزمنا بالجماعة، قال ربنا ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وأخبرنا حبيبنا ونبينا ﷺ أن ربنا ﷻ رضي لنا أن نعتصم بحبل الله جميعا، وألا نتفرق، وأمرنا نبينا ﷺ بلزوم الجماعة، وقال: «فإنه من فارق الجماعة قِيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام، إلا أن يرجع»، وقال ﷺ: «من فارق الجماعة شبرًا فمات، مات ميتةً جاهلية».

ولما كانت الجماعة لا يحصل أمرها، ولا يستقر حالها، ولا تتحقق مصالحها، إلا بقائد يقودها، وإمام يتقدمها، كان من أعظم فرائض الدين: أن يُنصَب السلطان على المسلمين، فإن كان المسلمون جميعًا على أرض واحدة وجب عليهم أن ينصبوا خليفة، وأن يبايعوه، وأن يلزموا أمره، وإن كانوا متفرقين في الأرض، وتعذّر عليهم أن يقيموا سلطانا واحدا، وجب على أهل كل أرض أن يقيموا لهم سلطانا، أن يقيموا لهم إماما، وأن يبايعوه، ولا يجوز لهم أن يُخلُوا أرضهم وزمانهم من إمام يكون لهم، فإن ذلك من فعل الجاهلية، فإن ذلك من فعل الجاهلية، والمسلم لا يجوز له أن يفعل فعل الجاهلية.

ولذا قال حبيبنا ونبينا ﷺ: «من مات وليس له إمام، مات ميتةً جاهلية»، وقال ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».

فالمسلم المتقي اللهَ ربَّه يحرص على أن يكون تحت راية الإمام القائم في بلده، وأن يبايعه، وأن يلزمه، لأن هذا من أعظم فرائض الدين.

ولما كان شأن السلطان وولي الأمر بهذا المقام العظيم، وهذه المنفعة العظيمة، جاء شرعنا بما يحفظ هيبته، ويحقّق استقراره في بلده، ممّا يعود على أهل البلد بالخيرات والبركات، ويدفع عنهم المفاسد القبيحات، ومن ذلك: أن ديننا أوجب علينا جميعًا أن نسمع ونطيع لولي أمرنا المسلم في غير معصية الله ﷻ، فقد قال ربنا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

وقال نبينا ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإن أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، أي فيها، أي في المعصية.

وقال ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني».

ومما جاء به ديننا، مما تُحفظ به هيبة ولي الأمر: الصبر على أخطائه، إن رأينا أنه قد أخطأ خطأ، وجاء بأمر نكرهه، فإن الواجب علينا أن نصبر، وأن نلزم الجماعة والإمام، يقول النبي ﷺ: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه مَن فارق الجماعة فمات، مات ميتةً جاهلية».

فالواجب علينا إذا رأينا أمرًا من ولي أمرنا، وظننّا أنه يخالف شرع الله، أو توهّمنا أنه يخالف شرع الله، أو غير ذلك، الواجب علينا أن نصبر، وأن نُمسِك، وأن نلزم إمامنا والجماعة، وألا نفارق الجماعة ولو بمقدار شبر يا عباد الله.

هكذا علّمنا رسول الله ﷺ، لم نتعلّم ذلك من سياسات متقلّبة، ولا أفكار حزبيّة، وإنما تعلّمنا ذلك من الصادق المصدوق ﷺ.

ومما جاء به ديننا، وألزمنا به، ويُحفظ به أمر السلطان، وتتحقّق مصالحنا به: أن نحفظ هيبة ولي أمرنا، وأن نحفظ عرضه، فإن حفظ هيبة السلطان مما يحقق العزة في البلد، ويدفع الشر عن أهل الوطن.

ولذا لما جاء ابن عامر -وكان واليًا- فرقى المنبر، وكان لابسًا لباسًا خفيفًا، قام أبو بلال الخارجي، فقال: انظروا إلى أميرنا، يلبس لباس الفسّاق، فقال أبو بكرة الصحابي الجليل، الذي تعلّم من رسول الله ﷺ، وتأدّب بآداب رسول الله ﷺ: اسكت، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله».

ولذا حتى في باب النصيحة، وجب علينا أن نحفظ هيبة ولي الأمر، ولذا ثبت عن حبيبنا، وإمامنا، وقرة أعيننا، ونبينا ﷺ، أنه قال: «من كانت له نصيحة لذي سلطان فليَخلُ به، وليأخذ بيده، فإن قبلها قبلها، وإن ردّها كان قد أدّى الذي كان عليه».

هذه أمور من شرعنا، صحّ بها الخبر عن نبينا ﷺ، وإذا اختلّت فإن المصالح تختلّ يا عباد الله.

وإن ربنا ﷻ قد أنعم علينا في بلادنا بنعم عظيمة، فأنعم علينا بوحدة الكلمة، واجتماع الصف، والتقارب فيما بيننا، وأنعم علينا بحسن الولاية، فأنعم علينا بحكّام منّا، يصلّون كما نصلّي، ويقرأون القرآن كما نقرأ، ويعتزّون بالدين كما نعتزّ بالدين، وأنعم علينا بعلماء ربانيين كبار، يوثَق في دينهم، ويُرجَع إليهم في المسائل والنوازل، وأنعم علينا بأن كان النظام في بلادنا شرع الله ﷻ، فلا نظام في بلادنا إلا القرآن والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، ونصّ عليه العلماء، هكذا هي مواد النظام، نظام الحكم في بلادنا، ولله الحمد والمنة.

وإن من التزام بلادنا بالشريعة: أنه إذا نزلت نازلة تحتاج إلى معرفة حكمها الشرعي، فإن ولي أمرنا لا ينفرد بها، ولا يبادر إليها، وإنما يحيلها إلى هيئة كبار العلماء، وهيئة كبار العلماء يدرسونها، ويبدي كل واحد منهم رأيه مبيّنًا دليله، حتى إذا اتفقوا رفعوا الأمر إلى ولي الأمر، فلزم ما اتفقوا عليه، أما إذا اختلفت آراؤهم، فقال بعضهم بالجواز مثلاً، وقال بعضهم بالتحريم مثلاً، فقال هذا قوله وأدلى بأدلته، وقال هذا قوله وأدلى بأدلته، وتناقشوا، وتباحثوا، وأخذ الأمر منهم زمنًا، ولم يصلوا إلى اتفاق، فإن هذا يُثبَت في المَحضر، ثم يُرفع إلى ولي الأمر، ولولي أمرنا أن يختار من أقوالهم ما يراه أقوى، وما يراه أصلح وأنفع للبلاد، وكل هذا واقع بحمد الله إلى يومنا هذا، وكل هذا من ديننا، لا يخالف ديننا، ولا يخالف شرعنا، فالحمد لله الذي أنعم علينا بهذا النظام، ونسأله سبحانه أن يتم النعمة.

فواجب علينا -عباد الله- أن نحسن الظن بعلمائنا، وأن نذبّ عن أعراضهم، وألا نطلق ألسنتنا فيهم، فهم والله لا يفتون بما يريده أحد من الناس، وإنما بحسب علمنا بهم -ولا نزكي على الله أحدًا- إنما يفتون بما يظهر لهم أنه يوافق الشرع، سواء رضينا نحن به أو لم نرض به، فهم علماء ربانيون، لا يجوز لنا أن نتّهمهم بأنهم يتّبعون السلاطين فيما يريدون، ولا يجوز لنا أن نتّهمهم بأنهم يبيعون ذممهم، فإن هذا من المنكر، وإياك -يا عبد الله- أن تأتي يوم القيامة وحجيجك عالم ربّاني من كبار علماء الإسلام، إياك -يا عبد الله- أن تأتي يوم القيامة ومخاصمك عالم ربّاني من كبار علماء الإسلام.

كذلك -يا عباد الله- يجب علينا أن نحسن الظن بولاة أمرنا، وألا نطلق ألسنتنا فيهم لظنّ نظنّه، أو وهم نتوهّمه، فلا يجوز لأحد أن يقول أو ينشر: إن ولاة الأمر يتركون الشريعة، أو إن ولاة أمرنا يضيّعون الأحكام، فإن هذا غير واقع واقعًا، وغير جائز شرعًا.

فالله الله عباد الله، اشكروا الله على ما نحن فيه من النعم، واعلموا أن الحسّاد والحاقدين يتربّصون بنا، ويبحثون عن الوسائل التي يفرّقون بها صفّنا، ويفرّقون بها كلمتنا، ويُخِلّون بما بيننا وبين ولاة أمرنا، من المحبة والتناصح، والتوادّ والتقارب.

ألا فانتبهوا عباد الله، وتمسّكوا بما أنتم عليه من النعم، أسأل الله عزّ وجلّ أن يرزقنا شكر النعم، وأن يهدي ولاة أمرنا إلى ما يحب ويرضى.

أقول ما تسعمون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إنكم في شهر الله المحرم، إنكم في موسم من مواسم الصيام، يعظم فيه أجر الصيام، والتقرب إلى الله عزّ وجلّ بالتنفّل بالصوم، فإنه موسم من أعظم مواسم الصيام النافلة، المستحب غير الواجب، فإن النبي ﷺ قال: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم»، فأفضل زمن تصوم فيه النافلة –يا عبد الله– بعد شهر رمضان: شهر الله المحرم، فيستحب للمسلم أن يكثر من الصيام في شهر الله المحرم، من أوله، ومن أوسطه، ومن آخره.

والأفضل أن يفطر بعض أيامه، فإن النبي ﷺ ما استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وكان لا يُخلِي شهرًا من الصيام، وكان صومه يعظم ويكثر في شعبان والمحرم، فأكثروا –عباد الله– في هذا الشهر من الصيام.

واعلموا –عباد الله– أنه يتأكد صيام يوم عاشوراء، وهو العاشر من شهر الله المحرم، فإن النبي ﷺ كان يصومه قبل الإسلام، حيث كانت العرب في مكة يصومونه في الجاهلية، فصامه ﷺ.

ولما هاجر إلى المدينة رأى اليهود يصومونه، فسألهم عن هذا اليوم، فقالوا: هذا يوم عظيم، نجّى الله فيه موسى وقومه، وأهلك فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا لله، فنحن نصومه، فقال ﷺ: «نحن أحق بموسى منكم»، فصامه ﷺ، وبعث مناديًا ينادي في الناس يأمر بصيامه، فصامه الناس، حتى أنهم كانوا يصوّمون الصبيان الصغار، فلما نزل صيام شهر رمضان قال النبي ﷺ: «من شاء صام» أعني عاشوراء

«ومن شاء ترك» فكان مستحبًّا، وليس أمرًا لازمًا، وواظب النبي ﷺ على صومه إلى أن فارق الدنيا ﷺ.

فصيام يوم عاشوراء فيه زيادة في الحسنات، وقد قال النبي ﷺ عن صوم يوم عاشوراء: «أحتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله»، فجميع صغائر السنة الماضية تُمحى -يا عباد الله- عمّن صام يوم عاشوراء، فهو مَكفَرة للصغائر في السنة الماضية.

فتحرَّوا -عباد الله- صومه، مقتدين بنبيّكم ﷺ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ما رأيت النبي ﷺ يتحرّى صيام يوم فَضَّلَهُ على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، فتحرّوا صيامه يا عباد الله.

واعلموا أن الأفضل لكم: أن تصوموا التاسع والعاشر، أي يوم الجمعة والسبت في هذا العام، فيكون أحدكم صائمًا اليوم، ويصوم غدًا إن شاء الله، لأن النبي ﷺ قال: «لإن عشت إلى قابل لأصومنّ التاسع».

ومن لم يصم اليوم فإنه يصوم غدًا السبت إن شاء الله، ويصوم معه يوم الأحد، لأنه بهذا يكون قد خالف اليهود، الذين كانوا يَصُومونه فقط.

ومن لم يتيسّر له ذلك فإنه يجوز له أن يصوم يوم السبت فقط، وإن كنا لا ننصح بذلك، لكن من لم يتيسر له أن يصوم يومًا قبله أو يومًا بعده فلا يحرمنّ نفسه من فضل صوم يوم عاشوراء.

ولا حرج في صيامه وإن كان يوم السبت، لأن الأدلة دلت على أنه يجوز للإنسان أن يصوم يوم السبت، مع يوم قبله أو يوم بعده، ولأن من صامه هذه السنة لا ينظر إلى يوم السبت، وإنما يصوم يوم عاشوراء، فالذي عليه أكثر العلماء -وهو الصواب الراجح البيّن- أنه لا حرج على المسلم أن يصوم يوم السبت نافلة إذا وافق يومًا فاضلاً، أو صام يومًا قبله أو يومًا بعده.

فاغتنموا -عباد الله- أن الله عز وجل أمدّ في أعماركم إلى إدراك هذا اليوم، فصوموه، ومروا أهلكم بصيامه، وصوّموا صبيانكم إن أطاقوا الصيام، لعلكم تُرحمون.

ثم اعلموا –رحمني الله وإياكم– أنّ الله أمرنا بأمرٍ عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثمّ ثنّى بملائكته، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلَّى عليّ صلاةً واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا من المرضيّين، اللهمّ اجعلنا من المرضيّين، اللهمّ اجعلنا من المرضيّين يا رب العالمين.

اللهمّ اغفر لنا وارحمنا، اللهمّ اغفر لنا وارحمنا، اللهمّ اغفر لنا وارحمنا.

اللهمّ اغفر ذنوبنا، ووسّع لنا في دُورنا، وبارك لنا في أرزاقنا يا رب العالمين.

اللهمّ إنا نسألك، اللهمّ إنا نسألك، اللهمّ إنا نسألك أن توفّق ولي أمرنا إلى ما تحب وترضى، اللهمّ دُلَّه على الخير، اللهمّ دُلَّه على الخير، اللهمّ دُلَّه على الخير، وقرّب الأخيار منه يا رب العالمين، وأعنّا على القيام بحقّه يا رب العالمين، ولزوم شرعك يا رب العالمين.

اللهمّ اجعلنا ممن قام بحقك، اللهمّ اجعلنا ممن قام بحق عبادك يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.